في مهرجان التاج

فاروق ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

فلكٌ بحبك في الشواطي دائرُ أملُ الحياة به عتيٌّ هادرُ ...
رقصت له الأيامُ وازدحمت على كفيه من سحر الخلود بشائرُ
وتنفس الوادي به ، فكأنه نغمٌ من الفجر المهلل طائرُ
فإذا رأيت النيل قلت متوجٌ الدهرُ صولجهُ القويُّ القاهرُ!
وإذا رأيت الحقل قلت قصيدةٌ خضراءُ وقعها الربيعُ الساحرُ
وإذا رأيت الطير قلت ملائكٌ للحب في فمها نشيدٌ طاهرُ!
وإذا رأيت الناس خلت بهم هوى مما يحمله الشوق الساهرُ
مهجٌ يرفُّ بها سناك كأنما ظمأٌ يدفُّ إليه نبعٌ زاخرُ
ودعاءُ ألسنةٍ يكاد لطهره ترفضُّ منه على الوجود مجامرُ
ويكاد ينقله إلى شفة الربى ويعيد نغمته الحمامُ الذاكرُ
وأكاد في موج الضفاف أرى له رجعًا يردده الرشاشُ الثائرُ
وأكاد أسمعه جنينًا لم تذع أصداءُ لجته إليك سرائرُ
أنا من عشَّ الأسرار في كبد الدجى والليلُ عرافُ الظلام محاذرُ
شعرًا هو الدمُ لو لمست خياله في الروح أحرقني الهدوءُ الشاعرُ
أرسلت في فاروق آية حبه إعجاز فنٍّ وحيه يتواترُ
إن لم أذع للنجم سرَّ جلاله حتى يهيم به الشعاعُ الطائرُ
إن لم أرق لعلاه أحلامَ الضحى حتى أرى الدنيا به تتسامرُ
إن لم يطر نغمي إليه على رؤى بيضاءَ يحملها الصباحُ العاطرُ
إن لم أر الأفلاك تصغي لمزهري وأنا أغني التاجَ ما أنا شاعرُ!
فاروق يا حادي العظائم في حمى بك نجمه فوق العوالم سائرُ
في محنة الأيام والدنيا غدت بركان هولٍ نارهُ تتطايرُ
والحربُ عاجلت القيامة يومها فمشت بها بين العباد تقامرُ
نقلت جهنم للشعوب وإنما حمل الخطيئة في لظاها الطاهرُ
إن حلَّ جارحها بأرضٍ أصبحت وبها القصورُ الشاهقاتُ مقابرُ
نثرت خريف الموت في ساحاتها فجماجمُ الهلكى بهن أزاهرُ
ذبحت أمانيها على راحاتها فغدا المؤمِّلُ في هواها خاسرُ
وغدا بها سيين في لهب الردى ذو رحمةٍ يخشى السماءَ وجائرُ
لا ترو للزيتون ذكرًا عندها فحديدها بالسلم جانٍ كافرُ
دفنت شرائعها فضلَّ دهرها في غيهب الطغيان شرعٌ حائرُ
في ليلها الداجي ودون قتامه خطوُ الرياح الهوج خطوٌ عاثرُ
سطعت بك الأوطان شرقَ السنا فجرُ البشائر من يمينك سافرُ
نشرت خطاك بها سكينة مؤمنٍ يحدوه بطشٌ للعزيمة قادرُ!
أنى مشيت بدت بركبك آيةٌ ليست لها في المالكين نظائرُ
حبٌّ مداه إلى القداسة ينتهي لو كان للحب المقدس آخرا
إذ كاه شعب في ظلالك سابحٌ يا طالما أغفى وطرفك ساهرًا
أولستَ آسي جرحه من بعد ما شقت بنار الخلف منه مرائرُ؟
أولستَ جامعَ شمله من بعد ما أرداه في لهب الشقاق تنافرُ؟
أولستَ باعثَ جيله من رقدةٍ بوقُ النشور لها أنين عابرُ؟
أولستَ قائده لعصرٍ أبيضٍ آياتُ ملكك في سماه منائرُ
أولستَ فجرَ البائسين بشطه وزمانهم كالليل داجٍ عاكرُ
أولستَ من ماضيه بعثًا أوشكت أيامُ «فرعونٍ» به تتفاخرُ
أولستَ للشرق المجرح بلسمًا يا طالما بنداه قرَّ الثائرُ؟
يأيها الأملُ الفتيُّ لأمةٍ كادت يشيبها الشبابُ الشادرُ
قدها إلى الجوزاء أنت شبابها ومعين حكمتها الدفيقُ الزاخرُ
واسبح بها فوق النجوم فطرفها أبدًا الحياة بنور عرشك ناظرُ
قالوا: وعيد التاج! قلت: نميمةٌ للنيل تنشدها ربى وخمائرُ
إن هزت الأوتار فيه غناءها وترنمت للشعب فيه قياثرُ
فأنا بقلبي جدولٌ متدفقٌ بالشدو مشبوبُ الأغاني ثائرُ
الله ظلَّله ، وكرَّم شدوه تاجٌ رعته من السماء مقادرُ

محمود حسن اسماعيل